وبالتالي، فثمة فروق نسبية بين الثقافة الإسلامية بمعناها الصافي وبين ثقافة المجتمعات الإسلامية على أرض الواقع، وذلك حسب قُرب أو بُعد تلك المجتمعات وأفرادها عن تعاليم الإسلام وقيمه العامّة.

ثانياً: الفرق بين الثَّقافة والعلم

يميِّز الدارسون بين مدلول الثقافة ومدلول العلم من نواحٍ عدة، أهمها:

١) من حيث الموضوع:

تتعلق الثقافة بالمباحث التي تعالج السلوك الإنساني، وأما العلوم البحتة كالطب والكيمياء والفيزياء فتبحث في الظواهر المادية للأشياء، وإن كان العلم في ثقافتنا يشمل إضافة إلى ما سبق علوم الوحي.

٢) من حيث العموم والخصوص:

تختلف الثقافة من أمة إلى أخرى، ولكل أمة ثقافتها الخاصة بها والتي تميزها عن غيرها من الأمم، أما العلم فإنه عالمي لا هوية له ولا قومية ولا دين، ولا تختص به أمة دون أمة[١].

ويمكن توضيح الفرقين السابقين بمثال عملي: فلو طلبنا رأي عالم فيزياء مسلم وعالم فيزياء غير مسلم في قوانين نيوتن في الحركة، لحصلنا على الإجابة نفسها، ولا يتصور الاختلاف بينهما في الرأي. بخلاف ما لو طلبنا من العالِمَينِ المذكورين وجهة نظرهما في قضية حجاب المرأة مثلاً، فإن رأيهما سيتباينان تبايناً كبيراً.

فقوانين نيوتن تتعلق بالظواهر المادية للأشياء وتدخل في مجال العلوم البحتة، أما القضية الثانية فتتعلق بالسلوك الإنساني وتدخل في مجال الثقافة.

والقضية الأولى عالمية لا يختص بها المسلم دون غير المسلم أو العكس. وأما القضية الثانية فهي خاصة بأمة دون أمة، ولذلك اختلفت فيها وجهة نظر الثقافة الإسلامية عن غيرها.

خطأ الخلط بين الثقافة والعلم

خلط بعض المثقفين العرب بين مدلول الثقافة ومدلول العلم، خلطاً أدى إلى نتائج خطأ، فهؤلاء عندما اطلعوا على التقدم العلمي المادي للغرب انبهروا به، وظنوا أن تقدم الغرب هو بسبب ثقافته لا بسبب أخذه بأسباب التقدم المادية والعلمية البحتة، وقرروا أنَّ

---

(١) **التميمي**: عز الدين الخطيب، وآخرون، **نظرات في الثقافة الإسلامية**، دار الفرقان، عمان، ط٢، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣م، ص ١٢

على المسلمين، كي يتقدموا، التخليَ عن ثقافتهم وأن يأخذوا بثقافة الغرب وقِيَمِهِ، حتى قالوا: إن على العرب والمسلمين أن يقلدوا الغرب في كل شيء، في قيمه وعاداته وتقاليده ومفاهيمه ونظرته إلى الكون والإنسان والحياة، وفي مُرِّهِ وحُلوِه، وفي خطئه وصوابه، وأن ينبذوا وراءهم تراثهم وثقافتهم ودينهم وتاريخهم.

وهذا الكلام ناشئ عن الخلط بين مفهوم الثقافة من جهة ومفهوم العلم والتقدم العلمي المادي من جهة أخرى، ومما يدل على خطأ هذا الخلط وخطأ النتيجة التي بنيت عليه: أن بعض الأمم والشعوب قد تقدمت علمياً واقتصادياً وفي شتى مجالات الحياة، دون أن تتخلى عن ثقافتها وهويتها وخصوصياتها، مثل اليابانيين والصينيين، وبعض الأمم أرادت الانسلاخ من ذاتها وتقليد الآخرين في كل شيء، ولكنها لم تتقدم.

ويضاف إلى كل ما مضى، أنَّ الغرب تخلَّى عن ثقافته التي تحارب العلم، وتقيِّد الفكر الحر، وتقوم على الاستبداد، لذلك كان التقدُّم العلمي ثمرة من ثمار هذا التَّحرر، ومن المعلوم أن الثقافة الإسلامية تدعو إلى العلم وتشجعه ولم تشكل يوماً عائقاً أمام تقدم المسلمين ونهضتهم، ولم يتخلف المسلمون عن ركب التقدم العلمي إلا بعد أن ابتعدوا عن هذه الثقافة وعن هذا الدين العظيم. وقد أنتجت الثقافة الإسلامية في السابق حضارة علمية متقدمة، نظر الغرب إليها بانبهار، ولم يتقدم الغرب نفسه إلا بعد أن أخذ بمنجزاتها والأسس العلمية التي أرستها.

ثالثا: العلَاقة بين الثَّقافة والحضارة والمدنيَّة

يرتبط مصطلح الثقافة بمصطلحين آخرين هما: الحضارة والمدنية، وهناك أيضاً اختلاف واسع بين الدارسين في التحديد الدقيق لكل من هذين المصطلحين، كما أن هناك اختلافاً بينهم في العلاقة بين هذه المصطلحات الثلاث: الثقافة، الحضارة، المدنية. ونختار في ذلك المنحى الآتي:

١ - **الثقافة تمثل الجانب المعنوي القيمي والفكري في الأمة**، أي مجموعة المفاهيم والمبادئ والأفكار والمعتقدات والقيم والعادات والتقاليد والآداب والفنون، وطرق السلوك، التي تميز مجتمعاً من المجتمعات عن غيره.

٢ - **المدنية تمثل الجانب المادي في الأمة**، أي مظاهر التقدم المادي في المجتمع، من منشآت ومصانع ومرافق وصناعات ومخترعات وتقدم في طرز البناء وأساليب الزراعة والصناعة وغير ذلك.

٣ - **الحضارة تشمل الجانبين المعنوي والمادي في الأمة**، أي إنَّ الحضارة أشمل من الثقافة ومن المدنية، فهي تعني مجموعهما[١]، ومن هنا يمكن تسمية رُوح الحضارة ب"الثقافة"، وتسمية جسدها ب"المدنيَّة"[٢]

(١) عبد العزيز: د. أمير: **الثقافة الإسلامية**، مرجع سابق، ص ٤١ - ٤٤.

[٢] بكار، عبد الكريم، **نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي**، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٩م، ص١٢.

رابعاً: مصادر الثَّقافة الإسلاميَّة

(المدهش حقًا أن نلاحظ هذا الشعب العربي الذي ظل منسيًا أجيالاً عديدةً، بعيدًا عما يجري حوله، قد استيقظ فجأة، ووثب بنشاط فائق، أدهش العالم، وقلبه رأسًا على عقب. وأن قصة انتشار العرب في آسيا وأوروبا وأفريقيا، والحضارة الراقية والمدنية الزاهرة التي قدّموها للعالم هي أعجوبة من أعجوبات التاريخ).

جواهر لال نهرو أحد زعماء حركة الاستقلال في الهند

تنبثق الثقافة الإسلامية من جملة مصادر يمكن تقسيمها إلى نوعين: مصادر أساسية، ومصادر ثانوية.

والمصادر الأساسية هي: القرآن الكريم، والسُنة النبوية.

وأما المصادر الثانويَّة فمتعددة؛ من أهمها: الفقه الإسلامي، والتاريخ الإسلامي، واللغة العربية. ونعرض إلى بيان هذه المصادر على النحو الآتي:

القرآن الكريم والسُنّة المطهرة:

القرآن الكريم والسُنة النبوية هما المصدران الرئيسان لحياة المسلمين على مر العصور، ولهما الأثر الأكبر في ضبط سلوكهم وكل شأن من شؤونهم، وفي تشكيل فكرهم ومعتقدهم ورؤيتهم للكون والإنسان والحياة، وسيأتي الكلام عن كل منهما مفصّلاً في الوحدة الثانية من هذا الكتاب.

والسيرة النبوية جزء مهم من السُنة النبويَّة، حيث تُمثل الحياة المباركة للنبي ﷺ وسلوكه وأخلاقه وعبادته وتعامله، مصدراً عملياً مهماً للثقافة الإسلامية، إذ هي التطبيقُ العملي الصحيح للإسلام، وأسلوب الحياة كما يريده الإسلام، وقد أمرنا الله تعالى بالاقتداء بالنبي ﷺ في حياتنا وسلوكنا وكل شؤوننا، حين قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(الأحزاب: ٢١).

وتمتاز سيرة النبي ﷺ بميزات لم تتوافرا في سيرة أي إنسان آخر[1]، وهي:

١. **صحة هذه السيرة ونقاؤها**: فلم تُحفظ سيرة نبي من الأنبياء كما حُفِظت سيرة النبي محمد ﷺ

([1]) انظر: **هندي**: د.صالح ذياب: **دراسات في الثقافة الإسلامية**، مرجع سابق، ص ١٨ - ١٩.

٢. **الوضوح:** فحياة النبي ﷺ معروفة منذ ميلاده إلى يوم وفاته، وليس في حياته أحداث غامضة أو فترة زمنية مجهولة. وذلك يسد الباب على كل مشككٍ، أن يقول: إن النبي ﷺ ربما قام بأعمال معينة لا نعلمها، تخالف ما يدعو إليه، أو إنه ربما التقى بأناس علموه هذا القرآن والدين الذي جاء به.

٣. **الشُّمول:** فحياة النبي ﷺ تجسيدٌ لجميع جوانب الحياة الإنسانية. فهو ﷺ الإنسان السامي في أخلاقه وتعامله، وهو الأب الرفيق الحاني على أولاده، والزوج اللطيف بزوجه الرفيق بها، يعاشرها بالمعروف، وهو الحاكم العادل الذي يعيش مع الناس ويستمع لهم، والشاب الذي يتصف سلوكه بالاستقامة والبعد عن الفواحش. وذلك أن النبي ﷺ، هو آخر رسل الله إلى الناس، وقد بعث ليكون قدوة للناس كافة في جميع جوانب الحياة الإنسانية، فهو القدوة للزوج مع زوجه، وللأب مع أولاده، وللحاكم مع شعبه، وللصديق مع صديقه، وللجار مع جاره، وللمصلح الاجتماعي مع مجتمعه.

الفقه الإسلامي:

للفقه الإسلامي أثره في حياة المسلمين، فهو **العلم الذي يبحث في أفعال المكلفين من حيث الحِل والحُرمة**، وبالتالي فهو يمثل معايير تحكم حياة المسلمين وتحدد لهم ما يجب فعله وما لا يجوز فعله، استقاها العلماء بالاعتماد على نصوص الكتاب الكريم والسنة النبوية وأصول الشريعة ومقاصدها العامة.

> **أتعلّم:** يُعرِّفُ العلماءُ الفقهَ الإسلاميَّ بأنه: (علم الأحكام الشرعية العملية، المكتسب من أدلتها التفصيلية)[١].

وقد شكل الفقه الإسلامي نقلة تشريعية نوعية، نقلت البشرية من القوانين البشرية البدائية إلى القانون الإلهي، وجاء بمبادئ تشريعية لم تكن معروفة من قبل، ولم يصل الغرب إلى بعضها إلا حديثاً.

شُبهة حول الفقه الإسلامي وردها:

---

(١) شلبي: د. محمد مصطفى، **المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي وقواعد الملكية والعقود فيه**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥م، ص ٣٢.